

قافلة الإعلام السياحي الخليجي تفقدت مدينة رقمات القديمة وجالت في شوارعها ومبانيها الباقية

الأخدود العظيم.. نجران شاهدة على اليوم الموعود



جانب من مدينة رقمات والتي تؤكد الأبحاث العلمية والتنقيبات أنها شهدت حادثة الأخدود



رحلة في أعماق التاريخ والحضارة وكنوز الطبيعة

11



الزميل عاطف عيسى أمام نقش يحكي قصة أصحاب الأخدود

قافلة الإعلام السياحي الخليجي في نجران وجازان ومكة المكرمة

نجران - عاطف عيسى

تجربة مدهشة وممتعة في آن تجد نفسك تغادر عصرك وتغوص ضمن قافلة اعلامية، في اعماق التاريخ، وتقلب صفحات التراث وتطالع معالم الحضارات، تبدأ من العصر الحجري ونشأة الانسان وتمر في سرعة وخفة الى حضارات ما قبل الميلاد، ثم الى عصور متأخرة قبل مئات السنين من مبعث الرسول الكريم محمد ﷺ مروراً بعهود الخلفاء الراشدين ثم دولة بني امية فبني العباس وصولاً للعهد العثماني فالعصر الحاضر.

هكذا كانت التجربة المدهشة في قافلة الاعلام الخليجي السياحي التي تنظمها الهيئة العامة للسياحة والآثار في المملكة العربية السعودية، بادئة بالرياض عاصمة المملكة وحاضرتها، لترتد سريعاً الى نجران حيث التاريخ والحضارة بدءاً بمطارها الاحدث في المملكة ثم الاخدود الشهير فالآبار التي تعود الى آلاف السنين ومواقع أثرية وحضارية في نجران التاريخ، ثم كان الانتقال السريع الى جازان حيث كنوز الطبيعة المتنوعة، الساحل الجميل والجزر البكر الخالصة، والجبال الشاهقة والقرى التراثية المتميزة. وكان الختام في مكة ام القرى، حيث اعلى ساعة في العالم، وغار ثور وغار حراء ومتحف الحرمين ومصنع كسوة الكعبة الشريفة.

رحلة استمرت 10 ايام كاملة، شاركت فيها «الأنباء» ضمن فريق اعلامي كويتي ضم تلفزيون الكويت وتلفزيوني الوطن والراي والزميله الوطن الى جانب وسائل اعلامية ومحطات تلفزيونية خليجية وعربية. ولنبدأ من حيث النهاية، من مكة المكرمة، جازان ونهاية نجران.

الأخدود). هل يمكن أن أكون شاهدا على هذه التضحية التي لم يشهد لها التاريخ مثيلاً من هذه الفئة المؤمنة التي ملأت قلوبها روعة الإيمان وتشربت بلذة الاستسلام لله الواحد وإعلان التوحيد الخالص له، دونما خوف أو وجل من أي عاقبة، استعلت قلوب تلك الفئة المؤمنة على ذلك الامتحان الرهيب، أمام الجحيم المستعر، المجهز لالتهام الأجساد في لحظات، فكان الإصرار على رفض الطغيان والإقرار لله بالوحدانية المطلقة ونبد كل شريك أو إله غيره سبحانه.

ويمتلئ حسبي بالتقدير والجلال لهؤلاء المؤمنين ولأولئك المؤمنات الذين انتصروا بعبادتهم على الحياة، أي حياة وكل حياة، ولم يستسلموا للجبروت والظلم فدفعوا بأجسادهم الى الجحيم فيما انطلقت أرواحهم الى أعلى عليين، الى حيث الشرف والمكانة والخلود الأبدى، الى حيث يخلدها ربها ويشرفها ويكرمها، ويتوعد قائلها بمصير رهيب في نار جهنم التي هي أضعاف لأضعاف تارهم التي أوقدوها لإحراق المؤمنين.

غمرتني كل تلك المشاعر والأحاسيس وأنا أرافق القافلة وهي تتحرك باتجاه الموقع القريب من الفندق ووسط مدينة نجران، باتجاه قرية القابل على الضفة الجنوبية للوادي من الناحية الجنوبية.

على مقربة من الموقع توقفنا أمام المتحف الذي أنشئ حديثاً ليوثق للموقع والمواقع الأثرية في المنطقة، لكن آثارنا الأستمرار في السير للموقع أولاً ثم نعود للمتحف بعد أن نكون قد عاينا الموقع بتفاصيله.

بوابة رئيسية أنشئت قبل الوصول للمدينة، دلفت منها القافلة في طريق رملي لعدة عشرات من الأمتار ثم توقفت وترجلنا، ونحن نتلمس مواقع أقدامنا من الحذر والترقب في سكنون وسكينة. نهمس في أذني الأستاذ صالح آل مريح بعد أن سرنا خطوات، هنا بداية الموقع: عتبة كبيرة تشكل آثار بوابة ضخمة، لقلعة حصينة، نظراً لضخامة الجدران الباقية بجارتها الكبيرة المرصوفة بعناية.

قبل أن ندخل، تحدث الأستاذ صالح مستعرضاً الموقع: الموقع



بقايا حوائط وأحجار في المدينة المنكوبة



هنا منطقة الأخدود الأثرية



آثار الحريق بادية على بعض الأحجار

مسيحيو نجران

مسيحيو نجران أو أصحاب الأخدود هم سكان نجران قبل ظهور الإسلام الذي اعتنقوا فرعا من المسيحية. نكروا في القرآن، وتعلق سيرتهم به حول قيام الملك يوسف ذو النواس الحميري بحرق سكان مدينة الأخدود قبل أكثر من 1500 عام عقاباً لهم على إيمانهم بالله. «رقمات» أو مدينة الأخدود الأثرية والتي تقع على مساحة 5 كم مربعة على الحزام الجنوبي من وادي منطقة نجران (جنوب السعودية) مازال يكتنفها الغموض والأسرار رغم عمليات التنقيب والحفر المتواصل لمدة 10 سنوات متتالية. ويشير علماء الآثار في منطقة نجران إلى أن منطقة الأخدود الأثرية تحتاج إلى ما يقارب 30 سنة لمعرفة جميع أسرارها، وأن ما تم اكتشافه للآن لا يمثل إلا جزءاً من آثاريها ومعالمها.



هنا عاش مسيحيو نجران... وهنا حدثت المحرقة

الأنهار، ومنها ما يهبط من خشية الله، لكن هذه القلوب أبداً لا تعرف الرحمة ولا الشفقة ولذلك كان الوعيد من الله (قتل أصحاب

يتلذذون بهذا المشهد الرهيب؟! أي قلوب من حجارة، وأنفس من صخر؟! هي أقسى بكل تأكيد وإن من «الحجارة» ما يتفجر منه

والنساء والأطفال والرجال والشباب والشابات تُلقي هذا في الجحيم، وتاكلها النار عضواً وعضواً وقطعة قطعة، وهؤلاء



التنقيب مستمر لاكتشاف كامل الحقائق



عوامل الطبيعة لم تمح آثار الأخدود

أكد أن ما تم اكتشافه حتى الآن لا يمثل إلا جزءاً يسيراً من آثارها ومعالمها

صالح آل مريح: نحتاج 30 عاما لكشف أسرار الأخدود



أصحاب الأخدود في القرآن والحديث

روى الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب الرومي أن رسول الله ﷺ قال: «كان فيمن كان قبلكم ملك، وكان له ساحر، فلما كبر الساحر قال للملك: إنني قد كبرت سني وحضر أجلي، فادفع إلي غلاماً لأعلمه السحر، فدفع إليه غلاماً كان يعلمه السحر، وكان بين الساحر وبين الملك راهب، فأتى الغلام على الراهب، فسمع من كلامه فأعجبه نحوه وكلامه، وكان إذا أتى الساحر ضربه، وقال: ما حبسك؟ وإذا أتى أهله ضربه، وقالوا ما حبسك؟ فشكا ذلك إلى الراهب، فقال: إذا أراد الساحر أن يضربك فقل: حبسني أهلي، وإذا أراد أهلك أن يضربوك فقل: حبسني الساحر.

قال: فبينما ذات يوم إذ أتى على دابة فظيعة عظيمة قد حبست الناس فلا يستطيعون أن يجوزوا، فقال: اليوم أعلم: أمر الراهب أحب إلى الله أم أمر الساحر؟ قال، فأخذ حجراً، فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك وأرضى من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يجوز الناس، وربما ماقتلتها، ومضى الناس، فأخبر الراهب بذلك، فقال: أي بني أنت أفضل مني، وإنك ستبتلي، فإن ابتليت فلا تدل علي، فكان الغلام يبئري الأكمة والأبرص وسائر الأدواء ويشفيهم.

وكان للملك جليس، فعمي، فسمع به، فأتاه بهدايا كثيرة فقال: اشفني ولك ما هبتا أجمع، فقال: ما أنا أشفي أحدا، إنما يشفي الله عز وجل، فإن أمنت به دعوت الله فشفاك، فأمّن فدعا الله فشفاه، ثم أتى الملك فجلس منه نحو ما كان يجلس، فقال الملك: يا فلان من رد عليك بصرك؟ فقال: ربي؟ فقال: أنا قال: لا، ربي وربك الله، قال: أولك رب غيري؟ قال: نعم، ربي وربك الله، فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام، فبعث إليه فقال: أي بني بلغ من سحرِكَ أن تبرئ الأكمة والأبرص وهذه الأدواء؟ قال: ما أشفي أحدا إنما يشفي الله عز وجل، قال: أنا؟ قال: لا، قال: أولك رب غيري؟ قال: ربي وربك الله، فأخذه أيضاً بالعذاب، فلم يزل به حتى دل على الراهب.

فأتى بالراهب، فقال: ارجع عن دينك، فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه حتى وقع شقاه، وقال للأعمى: ارجع عن دينك فأبى، فوضع المنشار في مفرق رأسه، حتى وقع شقاه إلى الأرض، وقال للغلام: ارجع عن دينك فأبى، فبعث به مع نفر إلى جبل كذا وكذا، وقال: إذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فدهموه، فذهبوا به فلما علوا به الجبل قال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فرجع بهم الجبل، فدهموا أجمعين، وجاء الغلام يتلمس حتى دخل على الملك، فقال: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله تعالى، فبعث به مع نفر في قرقور، فقال: إذا لجمت به البحر، فإن رجع عن دينه وإلا فغرقوه في البحر، فلججوا به البحر، فقال للغلام: اللهم اكفنيهم بما شئت فغرقوا أجمعين.

وجاء الغلام حتى دخل على الملك، فقال: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله تعالى، ثم قال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به، فإن أنت فعلت ما أمرك به قتلنتي، وإلا فإنك لا تستطيع قتلي، قال: وما هو، قال: تجمع الناس في صعيد واحد، ثم تصلبني على جذع، وتأخذ سهما من كنانتي، ثم قل: باسم الله رب الغلام، فإنك إذا فعلت ذلك قتلنتي، ففعل ووضع السهم في كبده قوسه، ثم رماه وقال: باسم الله رب الغلام، فوقع السهم في صدغه فوضع الغلام يده على موضع السهم، ومات، فقال الناس: أمتنا برب الغلام، فقيل للملك: أ رأيت ما كنت تحذر؟ فقد والله نزل بك، قد آمن الناس كلهم، فأمر بأقواه السكك فخذت فيها الأخاديد، وأضمرت فيها النيران، وقال: من رجع عن دينه فدعوه وإلا فاقحموه فيها، قال: فكانوا يتعادون فيها ويتدافعون، فجاءت امرأة بابن لها ترضعه، فكانها تقاعست أن تقع في النار، فقال الصبي: اصبري يا أمه فإنك على الحق، أخرجته أحمد ورواه مسلم والنسائي بنحوه. وروى ابن أبي حاتم، عن الربيع بن أنس في قوله تعالى: (قتل أصحاب الأخدود) قال: سمعنا أنهم كانوا قوما في زمان الفترة، فلما رأوا ما وقع في الناس من الفتنة والشر، وصاروا أحزابا كل حزب بما لديهم فرحون، اعتزلوا إلى قرية سكنوها وأقاموا على عبادة الله مخلصين له الدين، فكان هذا أمرهم حتى سمع بهم جبار من الجبارين وحدث حديثهم فأرسل إليهم، فأمرهم أن يعبدوا الأوثان التي اتخذوا وأنهم أيوا عليه كلهم، وقالوا: لا نعيد إلا الله وحده لا شريك له، فقال لهم: إن لم تعبدوا هذه الآلهة التي عبدت فإني قاتلكم، فأبوا عليه، فخذ الأخدود من نار، وقال لهم الجبار بعد أن وقفهم عليها، اختاروا هذه أو التي نحن فيه، فقالوا: هذه أحب إلينا وفيهم نساء وذرية، ففزعزعت الذرية، فقالوا لهم - أي أبائهم: - لا نار من بعد اليوم، فوقعوا فيها، فقبيضت أرواحهم من قبل أن يمسه حرها، وخرجت النار من مكانها فأحاطت بالجبارين، فأحرقهم الله بها. ففي ذلك أنزل الله عز وجل: (قتل أصحاب الأخدود، النار ذات الوقود، إذ هم عليها قعود، وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود، وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد، الذي له ملك السموات والأرض والله على كل شيء شهيد) أخرجته ابن أبي حاتم، وروى محمد بن إسحاق قصة أصحاب الأخدود بسياق آخر وأنها كانت مع عبدالله بن التامر وأصحابه المؤمنين في نجران، والله أعلم.

النقوش والكتابات



تكثر في منطقة نجران النقوش والكتابات الأثرية التي تعود إلى فترات زمنية مختلفة فإلى جانب مدينة الأخدود يوجد هنالك العديد من المواقع المهمة في المنطقة مثل:

- الذراء: جبل يحوي نقوشا إسلامية ويقع في منطقة سقام.
- المسامة: جبل به نقوش ورسوم إسلامية مكبرة.
- آبار حمي: بها العديد من النقوش والكتابات التي تعود إلى فترات زمنية مختلفة.



الموقع مجلج بالسواد وكان الحريق حدث منذ وقت قريب



كف لا تماثل كحف من البشر الحاليين

الجدران، نقوش هنا ونقوش هناك، الممر الرئيسي، وكما يقول الباحثون كان أحد أجزاء الأخدود الأساسية، نمشي بحذر، هناك التهمة النيران لحوم وعظام الفئة المؤمنة، الحظ كفا منحوتاً على صخرة كبيرة كأنه كف أحد الضحايا لا يشبه كف أحد من البشر الحاليين، رائحة الموت تغلف المكان، بل رائحة الحريق والدخان المتصاعد تزكم الأنوف، بقايا من سواد يظلل جداراً لا يرتفع أكثر من مترين، الممر الرئيسي متفرع منه عدة ممرات جانبية دلفناً فيها واحداً تلو الآخر، أتلمس حجارة الجدران وكأني أسمع همسها تحكي هذه القصة الرهيبة، وهي ستتكم حتماً يوم يشهد كل الكون على الطغيان كم يصنع بالأجساد ويشهد أيضاً على القلوب وكيف يصنع بها الإيمان.

تعمقنا قليلاً في الموقع، صعداً مرتفعاً يشرف على الموقع بكامله، محيط الموقع مهجور منذ فترة طويلة كأنما هذه المدينة لم تسكن بعد تلك الحادثة، لا شيء يدل على حياة جديدة، ربما لتظل شاهداً على الأخدود، بعض أشجار النخيل القديمة تراها من بعيد، لكن الموقع أشبه باطلال مدينة عامرة أصابها العذاب، مازلت أتلمس موقع قديم أتحسس الخطى وأدقق في كل التفاصيل، الحج حجراً ما زال السواد يلفه، هو حجر من صخر، لكنه منحوت بعناية ومسحه وأكد أجزم بأن سواده آثار نار ودخان لم تمحها السنين والقرون، جلنا في الموقع نرى النقوش والرسوم وهي توابك المرحلة التاريخية لهذه الحقبة بحسب أقوال الباحثين.

قريباً من الموقع، شاهداً رحي ضخمه ليست من رحايا القرون القريبة، وتعد شاهداً أيضاً على عصور ما قبل الميلاد، انتقلنا للمتحف الموجود في الموقع، شاهداً كل ما يدل على نجران، نجران القديمة في العصر الحجري، ونجران مملكة حمير، ونقش كبير يحكي حادثة الأخدود، مع رائحة الحريق في أنوفنا، وطوال إقامتنا في نجران، ورغم تعدد المواقع التي زرتها، بقي الأخدود أهم معالم نجران وشاهداً على عزتها وقدمها.



حجارة في متحف نجران منقوشة عليها قصة الأخدود



الممر الرئيسي في الموقع



كبير المرشدين السياحيين في نجران أمام أكبر رحي وجدت في الموقع

معالم الأخدود الأثرية

منها إلى عدة أمتار منها بوابات المدينة. ويوجد في الأخدود رسومات ونقوش على الجدران والحجارة وحروف وكتابات حميرية بالخط المسند مصممة بطريقة الحفر الغائر وقطع فخار وأجر منتشرة على الأرض وإطلال منازل قرية «ابن تامر»، إضافة إلى حجر معصرة السمسم الموجودة في المتحف الوطني في الرياض. وتضم منطقة نجران مواقع أثرية أخرى غير مدينة الأخدود مثل: آثار الدريه وهي تقع شرق مدينة الأخدود بنحو أربعة

حجر الرحي التي كانت تطحن الحبوب قديماً وإطلال أول مسجد بني في نجران، وتقع الرحي وآثار المسجد على جانبي المدخل وتنتشر بعض الأشجار والنباتات الصخرائية خاصة شجر الأراك الذي يصنع منه السواك ويتر مطمورة مئمة الأضلاع التي تدل على الاتقان، أيضاً جدران ضخمة يبدو أنها كانت لقصور عظيمة لامراء وقادة. كما يوجد في الأخدود أسوار عالية كانت فيما يبدو تحيط بالمدينة وإحجار ضخمة يصل طول الواحد

الضخمة أيضاً معصرة سمسم شحنت إلى المتحف الوطني في الرياض، والمدينة كانت تسمى الرقعات وهي ملتقى طرق التجارة، وعثرنا على نقوش وعملات تثبت ذلك. انتهى حديث آل مريح، وبدأنا الجولة في الموقع، تفحصنا

كل جدار وكل بيت من البيوت الـ 32 التي يضمها الموقع في مرحلة تنقيبه الخامسة، آثار الحريق ظاهرة بوضوح على

الضخمة أيضاً معصرة سمسم شحنت إلى المتحف الوطني في الرياض، والمدينة كانت تسمى الرقعات وهي ملتقى طرق



آثار المحرقة بادية بوضوح



حائط ونقوش بالخط السومري